

حديث : إنك ما دعوتني ورجوتني

09:22:37 2007-02-14 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قال الله عزوجل : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

الشرح

بين يدينا حديث يأسر القلب ، ويأخذ بمجامع النفس ، يستمطر الدمع ، ويهيج في الوجدان مشاعر التوبة والرجاء ، لتتلاشى معه أسباب اليأس والفتور ، إنه هتاف سماوي لو تردد في جنباتنا لأفاض عليها شوقا وحنينا إلى خير من مدت إليه الأيدي ، ولهجت بذكره الألسنة ، فيالها من موعظة ، ويالها من تذكرة .

لقد جاء الحديث ، ليزف إلى الناس البشرى ، فرحمة الله واسعة ، وفضله عظيم ، لا يقف عند حد ، ولا يحصيه عد ، فغدا هذا الحديث إبهاجا للتائبين ، وأملا للمذنبين ، وفرصة لمن أسرف على نفسه بالمعصية ، أو فرط فيما مضى من حياته ، ولعلك - أيها القاريء الكريم - تدرك بذلك سر المكانة التي حازها هذا الحديث دون غيره ، حتى إن كثيرا من العلماء ليرون أنه أرجي حديث في السنة كلها .

وتتجلى معالم الحديث في بيانه لأسباب حصول المغفرة ، ويأتي الدعاء في مقدمة تلك الأسباب ، والدعاء قرينة عظيمة ، وصلة مباشرة بين العبد وربّه ، وهي سلاح المؤمن الذي يتسلح به في الشدائد والكربات .

وقد حثنا الله تعالى على الدعاء في عدة مواضع من كتابه ، فقال تعالى : { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين } (غافر : 60) ، وقال سبحانه : { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } (البقرة : 186) ، بل جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : (من لم يسأل الله يغضب عليه) رواه الترمذي ، وصدق الشاعر إذ قال :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

بيد أن لهذه العبادة شروطاً ينبغي استكمالها ، ليكون الدعاء جديراً بالإجابة ، وأدعى للقبول ، فمن ذلك : حسن الظن بالله ، والرجاء والأمل بالمغفرة ، كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) رواه الترمذي ، ولا بد أن يكون لهذا الرجاء رصيذاً من العمل الصالح ، لا أن يكون مجرد أمنية وأحلاماً زائفة .

وإضافة إلى ذلك : فإن على المسلم حال دعائه أن يعزم في المسألة ، ويجزم في الطلب ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة ؛ فإنه لا مكره له) رواه

البخاري .

ثم ينتقل بنا المطاف إلى الحديث عن الاستغفار ، وهو طلب الستر والتجاوز عن الذنب ، وقد أنشأ الله سبحانه وتعالى على المستغفرين في كتابه فقال : **{ والمستغفرين بالأسحار }** (آل عمران : 17) ، كما رتب حصول المغفرة عليه فقال : **{ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا }** (النساء : 110) .

وعلاوة على ذلك ، فإن للاستغفار مزيد فضل على غيره من العبادات ، إذ لا تقتصر بركته على محو الخطايا وتكفير السيئات ، بل يمتد خيره إلى السماء فتتزل أمطارها ، وإلى الأرض فتنبت زروعها وثمارها ، ويحصل به النماء في الذرية ، والقوة في العدة ، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : **{ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا }** (نوح : 10 - 12) .

فمن هنا : لم يكن غريبا أن ترى الأمر بالاستغفار في كثير من الآيات الكريمة ، ولم يكن غريبا أن يتكرر الاستغفار على لسان كثير من الأنبياء والمرسلين ، بل كان نبينا صلى الله عليه وسلم يُعَدِّله في المجلس الواحد مائة استغفار ، كما ورد في سيرته . ولا يكون الاستغفار صادقا إلا حين يصدر من قلب مؤمن مستحضر لجلال الرب وعظمته ، نادم على ما كان منه من تفريط وتقصير ، عازم على التوبة والإنابة ، وإلا فهي توبة جوفاء ، لا تنفع صاحبها .

ثم إن أعظم أسباب المغفرة وأجلها تحقيق جوانب التوحيد ، والإتيان به على أكمل وجه ، وقد أعلمنا ربنا بذلك في كتابه حينما قال : **{ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون }** (الأنعام : 82) ، فامتدح من كان إيمانه نقيًا خالصا من عوالق الشرك ، وبشرهم بالسلامة من دخول النار ، ولا عجب في ذلك ، فإن الذنوب كلها تتصاغر أمام عظمة التوحيد ، ومن ثم تكفل الله تعالى لمن لم يشرك به شيئا أن لا يعذبه ، كما جاء في حديث **معاذ رضي الله عنه : (وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)** رواه البخاري . وبهذا نكون قد انتهينا من تناول أحاديث الأربعين النووية للإمام **النووي** رحمه الله ، فالحمد لله على ما من به علينا ، ونسأله سبحانه أن يقلل عثراتنا ويعفو عن زلاتنا ويعيننا على طاعته ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .